Journal Of the Iraqia University (73-8) June (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

أسلوب التربية بالقدوة عند الدكتور محمد راتب النابلسي من خلال تفسيره

أبوبكر نوري حبيب باحث دكتوراه
أ.د. سردار رشيد حمه صالح
جامعة السليمانية / كلية العلوم الإسلامية

مقدمة

إن الناظر والمتدبر لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– ليهتدي إلى أساليب تربويّة متعددة لتربية النفوس وتهذيب السلوك، فمن أهم هذه الأساليب أسلوب التربية بالقدوة، وإن التربية بأسلوب القدوة أسلوب قرآني عظيم، وتُعدُّ من الوسائل المؤثرة في التوجيه والتربية، ووسيلة فعَّالة من وسائل التربية لترسيخ مكارم الأخلاق وتهذيب النفوس لا سيَّما للأطفال والجيل الصاعد، وذلك لأن الناس عموماً والمتربين خصوصاً يتأثرون بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، وأن القدوة العملية تترجم العلم إلى العمل, والقول إلى الفعل، وأن العمل والفعل ظاهران للجميع، كما أن القدوة العملية تقطع شبهة المثاليَّة عن العمل والفعل، ويجعلهما في متناول الكلِّ.فكان لزاماً على المربين والمعلمين والآباء والأمهات دراسة الأساليب القرآنية لا سيَّما أسلوب التربية بالقدوة لِما لها من الأثر الإيجابي على الأولاد والمتربين، كما أن عليهم أن يدركوا خطورة القدوة السيّئة على المتربين، وما يتركها عليهم من ازدواجية الشَّخصية.ومن المفسرين الذين اهتم بالجانب التربوي في تفسيره اهتماما كبيرا هو الدكتور محمد راتب النابلسي, وقد استنبط من الآيات القرآنية، وقصص الأنبياء –عليهم السلام– في القرآن الكريم أسلوب التربية بالقدوة، ولإبراز دور أسلوب التربية بالقدوة في التربية من خلال تفسير النابلسي جاءت فكرة هذه الدراسة.واقتضى تقسيم هذا البحث الى مقدمة ومبحث واحد متضمّنٍ لخمسة مطالب مع خاتمة. المطلب الأول: في مفهوم القدوة. والمطلب الثاني: في الحاجة إلى القدوة، ومن هو القدوة؟. المطلب الثالث: لماذا الأنبياء قددوة لنا؟. المطلب الرابع: في أهمية القدوة، وتأثيرها. والمطلب الخامس: في أهم مجالات القدوة، وواقعيتها، ومضاعفة الثواب والوزر للقدوة. والخاتمة في أهم النتائج.

المطلب الأول :في مفهوم القدوة.

القدوة لغةً: اسم من الاقتداء مأخوذ من مادة (ق د و) قَدْوُ، فالكاف والدال والواو أصلٌ صحيح يدلُّ على اقتباس بالشيء واهتداء، ومُقادرة الشيء حتى يأتي به مساوياً لغيره، يقال: قِدْوَةٌ وقُدْوَةٌ لما يُقتدى به، بالضَّم والكسر, والضَّم أكثر، والقدوُ: أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء، وجمعه: القِدى، والقُدوة والقِدوة: الأسوة، وما تَسَنَّنْتَ به، يقال: فُلانٌ قدوة يُقتدى به، وتَقَدَّتْ به دابته أي: لزِمت سَنَنَ الطريق، ويقال مرَّ بي يَتَقَدَّ فرسه أي: يَلزَمُ به سَنَنَ السِّيرة, وقَدَى الفرس يَقْدِي قَدَياناً: أسرع [١]، والقدوة: الأُسوة والإسوة، ويقال: ائْتَسِ به أي: اقتدِ به، فلان يأتسي بفلان أي يرضى لنفسه ما رضيه، ويقتدي به، وكان في مثل حاله[٢]ويُستخلص من التعريف اللغوي للقدوة أن لها عدة معان في اللغة منها: الاقتداء والأُسوة، والتقدم والسبق، والإلزام والاعتدال على طريقة وعدم الانحراف عنها.وهذه المعاني متفقة، وإن كانت ألفاظها مختلفة، وكلها تدل على اقتداء، وائتمام، وإتباع حالةٍ يكون الإنسان فيها مُتَّبعاً ومتأسياً لغيره، ويَهتدي بفعله وقوله، إن حسناً أو قبيحا.لذلك قسَّم العلماء القدوة إلى قسمين: قال الراغب: " الأُسوة والإسوة كالقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن سارًّا وإن ضاراً، ولهذا قال تعالى: [لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] [الأحزاب:٢١]، فوصفها بالحسنة"[٣].والقدوة الحسنة يُعرف صاحبها بأفعاله وأقواله وأخلاقه، وأن أقواله توافق أفعاله وأخلاقه، ولا مخالفة بينهما، وهو متصف بفضائل الخيرات, ومعالي الصفات، وهو داع إلى المباديء والمثُل بأعماله وأخلاقه قبل أقواله، فسيرته طاهرة زكية واضحة لا غموض فيها، ويُعرف صاحبها أيضاً بأنه مجتنب خوارم المروءة والنواهي، والنقائص التي تُسقط العدالة، وتواتر بين الناس صلاحه، وحسن سيرته، فأثَّر في الناس، حتى تأسوا واقتدَوا به، واتصفوا بصفاته، وتخلقوا بأخلاقه.أما القدوة السيئة وهي: "التأسي والاقداء بأهل الباطل، ومتابعتهم والتأسِّي بهم في فعل السيِّئات، وترك الحسنات"[٤]، والسير في المسالك المذمومة، وترك الحسنات بعكس القدوة الحسنة تماماً، فصاحبها يتصف بصفات سيئة قبيحة بعيدة عن الخير والصلاح، والهداية والرشاد والفلاح. قال تعالى: [إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ () قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ][الزخرف: ٢٣–٢٤]، وردَّ عليهم أيضاً في آية أخرى بقوله تعالى: [أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا

وَلَا يَهْتَدُونَ][المائدة: ١٠٤]، فحين تتخلى المجتمع والأفراد عن الاقتداء بالقدوة الحسنة؛ فما أسرع وأيسر أن تتحلى بالقدوة السيئة مكانها، من أجل ذلك أرشدنا الله عزَّ وجل أن نتحرى ونجتهد في اختيار القدوة الحسنة المتجسِّدة في أشخاص هم قمم البشرية بقوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ][الممتحنة:٦]، وأمرنا بذلك في قوله تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ][الأنعام:٩٠].**والقدوة اصطلاحاً**: "تعني نماذج بشرية متكاملة تُقدم الأسلوب الواقعي في مجالاتها المختلفة السلوكية، والانفعالية، والعلمية، والاجتماعية"[٥].والقدوة أيضاً: "الشخص المربي الذي يدعو إلى أنواع الفضائل، والكمالات السلوكية، والأفكار السليمة الصحيحة، وقد عمِل بها، واتصف بها من قبل"[٦]. والقدوة غالباً قد تكون شخصاً نموذجياً حياً يُلاحظ ويُرصد حركاته وسلوكه الطيبة، فيُقتدى بها، وقد يمكن أن تكون القدوة مواقف بطولية، أو أحداثاً تأريخية فتحليل هذه المواقف والأحداث والاقتناع بقوى تأثيرها وملاءمتها يمكن أن تكون قدوة، وقد تكون القدوة بطولة اجتماعية أثرت في المجتمع[٧].

مفهوم القدوة عند النابلسي:يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: "والقدوة هو: كل إنسان له مكانة اجتماعية؛ كالأب في بيته، والمعلم في الصف، والمدير العام للمؤسسة، ومدير المعمل، ومدير المستشفى، فكل إنسان رفعه الله فوق الناس، واحتل مرتبة؛ فهو قدوة"[٨]، ويقول أيضاً عند تفسيره لكلمة (الإمام) في قوله تعالى:[وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ][البقرة:١٢٤]، "ومعنى (الإمام): أنه في الأمام، فإذا كان في الأمام؛ صار إماماً، وإذا كان أمام من حوله في الورع، والإستقامة، والإخلاص، والتقوى، والحب؛ صار إماماً، فالإمام يجب أن يكون أمام كل من حوله، وأن يكون قدوةً لهم، ومثلاً أعلى يحتذى قال تعالى: [قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ () اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ][يس:٢٠-٢١]"[٩].من خلال ما سبق تبين أن النابلسي لم يأت بتعريف محدد للقدوة، وإن ذكر جلَّ الصفات، والشروط التي ينبغي أن يتحلى به القدوة الصالحة، والصفات التي تناقض ذلك، كما سيأتي ذلك واضحاً في ثنايا تفسيره للآيات التي تتعلق بمسألة القدوة.

المطلب الثاني :في الحاجة إلى القدوة، ومن هو القدوة؟

إنّ مما لا شك فيه أن الوصول إلى الهدف الصحيح لا يمكن إلا بأساليب ووسائل صحيحة مناسبةً مع الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، وهذا لايعني الاستغناء عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مربٍّ يحقق ويطبق بسلوكه وأسلوبه التربوي كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، لأن الناس فطروا على افتقاد القدوة، والبحث عن الأسوة، ليكون لهم نبراساً يضيء سبيل الحق، ومثالاً حياً يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله، لذلك اختار الله من بني البشر صفوتهم، وبعثهم إلى أممهم وأقوامهم،[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] [النحل:٣٦]، [وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ][فاطر:٢٤]، ليبينوا للناس ما نزّل إليهم من شريعة، وليكونوا قدوةً لهم في تطبيق شرع الله، وأمر سبحانه وتعالى الناس بالاقتداء بهم بقوله تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ] [الأنعام:٩٠]، واختار سبحانه وتعالى من بين الصفوة خاتمهم، وإمامهم –صلى الله عليه وسلم–، وأكمل له ولأمته الدّين، وأتم عليه وعلى أمته نعمه، ورضي لهم الإسلام دينا، وأخذ الميثاق من الصفوة وأتباعهم الإيمان بإمام الرسل وخاتمهم بقوله تعالى:[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ][آل عمران:٨١]، وأرسله رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا، ونوه سبحانه وتعالى بفضله بقوله: [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ][الشورى:٥٢]، [وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ][القلم:٤]، [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا] [الأحزاب:٢١]، ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه "جعل الأسوة في رسول الله، –صلى الله عليه وسلم–، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه أو خلق من أخلاقه أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله –عليه الصلاة والسلام–، وأفعاله وسيرته كلها فيقتدي به، –صلى الله عليه وسلم–، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويقتدي بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء"[١٠]ذكر الدكتور محمد راتب النابلسي هذه المسألة (الحاجة إلى القدوة) بالتفصيل، وبين أن في حياة كل إنسان شخصيةٌ يتمنى أن يُكَوِّنها، وشخصيَّةٌ يكره أن يُكَوِّنها، وشخصيَّةٌ يُكَوِّنها حقيقةً، ودائماً هناك نماذج تكرهه، ونماذج تعظِّمه، فكل إنسان يُعظِّم ويُكَبِّر ويُجلُّ ويحترم من كان متفوقا في حقله، لذلك نحن بحاجة ماسّةٍ إلى قدوة صالحة من جنسنا، أي: من البشر، ثم بين أن مهمة الأنبياء والرسل –عليهم السلام– التبليغ والقدوة، وبين عصمة الأنبياء –عليهم السلام– باللغة، والنقل، والعقل تأكيداً للاقتداء والتأسي بهم، وأن الاقتداء بالرسل خاصة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– لا بد أن يشمل جميع جوانب حياتنا، لأننا مأمورون بذلك، ثم وضح أن الاقتداء يكون عبر دراسة القرآن الكريم والسنة، خاصة –السنة العملية، والسيرة الشريفة–، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب...حيث يقول: عند تفسيره لقوله

تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا][الأحزاب:٢١]، "لهذه الآية أهميَّةٌ كبيرةٌ جداً، إذ في حياة كل إنسان شخصيةٌ يتمنى أن يُكَوِّنها، وشخصيَّةٌ يكره أن يُكَوِّنها، وشخصيَّةٌ يُكَوِّنها حقيقةً، فأنت لك شخصيَّةٌ، ودائماً هناك نموذج تكرهه، ونموذج تعظِّمه، فقل لي من تعظِّم؛ أقول لك من أنت، أهل الدنيا يعظِّمون أرباب الدنيا، وأهل القوة يعظِّمون الأقوياء، وأهل الأذواق والمواجيد يعظِّمون أصحاب الأذواق والمواجيد، فكل إنسان يُعظِّم ويُكَبِّر ويُجلُّ ويحترم من كان متفوقا في حقله، فمتى يكون النبي –صلى الله عليه وسلم– أسوةً لك؟ ومتى يكون قدوة لك؟ ومتى يكون مثلاً أعلى لك؟ ومتى يبقى في ذهنك؟ ومتى يبقى في شعورك؟ ومتى يبقى في ضميرك؟ كلما أقدمت على عمل تتصوَّره قد تستمع إلى سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– ولا تفعل فيك شيئاً، وربَّما تتحدَّث ساعات طويلة عن فلان الذي هو ملء سمعك وبصرك، وربَّما تتحدَّث أياماً وأسابيع عن هذا الإنسان اللامع القوي الغني، فما الشخصية التي تتمنى أن تُكَوِّنها وأنت تحدِّث نفسك في عفويتك من دون قصد؟ الإنسان يحدِّث الآخرين بوقت قليل، ويحدِّث نفسه بوقت طويل، فإذا سافر فهو يحدِّث نفسه ما دام ساكتاً، وفي حديثك مع نفسك قد يلوح في ذهنك شخصٌ مهم تُعظِّمه، وتُبجِّله، وتحترمه، وتنظر إليه بإكبار، وتتمنى أن تكون مثله، وتتشّوق إلى أن تكون في مستواه، ودائماً تتقرَّب منه، وتُقلِّده، وتترسَّم خُطاه، وتقف أثره، فمن هو؟ إذا كنت مؤمناً صادقاً في الشخصية التي تتمنى أن تُكَوِّنها، وأن تكون على طريقها، أو على أثرها، أو أن تترسَّم هُداها؛ هي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وإذا كان هناك أشخاص كُثُرْ من أهل الدنيا، ومن أهل القوة، ومن أهل الأذواق والمواجيد، والمتع الرخيصة، والحفلات، والسهرات، والندوات، والزيارات، وليسوا على الحق، وأنت تراهم قدوةً لك، ومثلاً أعلى لك، فبينك وبين الإيمان شوطٌ طويلٌ، ومراحل فسيحة؛ لما في (صحيح مسلم) عن أنس مرفوعاً: ((لا يؤمن الرجل حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين))[١١]، وربنا عزَّ وجل يقرِّر حقيقةً كبيرةً حينما يقول: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ] أيها المؤمنون [فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]. هو –صلى الله عليه وسلم– ؛ القدوة في صبره، وفي حلمه، وفي لطفه، وفي رحمته، وفي شجاعته، وفي جهاده، وفي معاناة الشدائد، وفي تحمُّل الخطوب، فالأخلاق والمبادئ والقيم إن كانت في بطون الكتب؛ لا يتأثر بها الإنسان مثل ما يتأثر إذا رأى إنساناً أمامه يتمثلها، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قرآن يمشي، وقد أهدى للبشرية شيئاً أفضل من آلاف الكتب، لماذا؟ لأن الناس رأوا فيه صدقاً، وما رأوا مسافةً بين أقواله وأفعاله، ولا رأوا تناقضاً بين واقعه ومآله، لذلك لابد لكل مسلم من قراءة سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– ليتحرك وفق منهجه –صلى الله عليه وسلم– في بيته، وفي عمله، ومع أهله، ومع أقاربه، ومع جيرانه، ومع بلده، ولعل قراءة السيرة فرض عين، كيف نستنبط ذلك؟ كيف أن الصلاة فرض لا يتم إلا بالوضوء إذاً الوضوء فرض، فالقاعدة الأصولية: ما لم يتم الفرض إلا به، فهو فرض، وما لم يتم الواجب إلا به، فهو واجب، ما لا تتم السنة إلا به، فهو سنة، فكيف يكون النبي –صلى الله عليه وسلم– أسوة حسنةٌ لي إن لم أقرأ سيرته؟! النبي –صلى الله عليه وسلم– له وظيفتان خطيرتان؛ الوظيفة الأولى: وظيفة التبليغ، فإذا وقفت أمام روضته الشريفة تقول: يا سيدي يا رسول الله؛ أشهد أنك بلَّغت الرسالة, وأديت الأمانة، ونصحت الأمَّة، وكشفت الغمَّة، وجاهدت في الله حقَّ الجهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد، وبذلك تكون قد اعترفت بمهمة التبليغ، وبقيت الوظيفة الثانية؛ وهي مهمَّة القدوة، وهي مهمة الأسوة التي نصَّ القرآن عليها، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– ليست مهمَّته التبليغ فحسب، بل مهمته أن يكون قدوة...فإنهم بلغوا الناس بأقوالهم، وبأفعالهم، بل إن أفعالهم تبليغ، وسماها المحدِّثون السنة العملية، فهناك سنة قولية، وهناك سنة عملية، ولابد من قراءة السنة العملية وتطبيقها...، إذا كان إنسان يشغل وظيفه معيّنة والتقى مع تاجر، أو التقى مع إنسان له عمل غير عمله؛ فإنه لا يقتدي به، لكن التاجر دائماً يقتدي بتاجر أكبر منه؛ ليرى كيف عقد الصفقه؟ وكيف ربح؟ والموظف يقتدى بموظف أرقى منه، ومن أراد الله واليوم الآخر؛ فعليه أن يجعل من النبي –صلى الله عليه وسلم– قدوةً له، وأما من أراد الدنيا؛ فقدوته زيدٌ وعُبَيْد.فلمن النبي –صلى الله عليه وسلم– أسوةٌ؟ ولمن هو قدوةٌ؟ ولمن هو مثلٌ أعلى؟ لمن؟ [لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]، فلو أنك أزمعت السفر إلى بلدٍ معيَّن، وتعلم علم اليقين أن زيداً من الناس خبيرٌ بهذه البلدة، يعرف كل مداخلها ومخارجها, ويعرف كل دقائقها، ويعرف أهلها، ويعرف مطاعمها، ويعرف فنادقها، لذهبت إليه ما دمت ترجو أن تزور هذه البلدة وتقيم فيها، تذهب إليه وتسأله: ماذا أفعل؟ فاسأل نفسك سؤالاً محرجاً ماذا تريد؟ وماذا ترجو؟ أترجو الدنيا أم الآخرة؟ قال سبحانه: [وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا] [الإسراء:١٩]، فإذا كان في قلبك إرادة مصممةٌ على طلب مرضاة الله عزَّ وجل، وعلى أن تبلغ الآخرة بسلام؛ يصبح النبي –صلى الله عليه وسلم– قدوةً لك على نحو طبيعي وعفوي، فتقول: هكذا صَلَّى –صلى الله عليه وسلم–، وهكذا ذكر، وهكذا دعا، وهكذا صبر، وهكذا تحمَّل، وهكذا عامل زوجاته، وهكذا عامل صحابته، فإذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم– قدوةً لك، وأسوةً لك، ومثلاً أعلى تتبع نهجه؛ فأنت ممن ترجو الله واليوم الآخر، ولن يكون –صلى الله عليه وسلم– قدوةً لك، إلا إذا أردت الله واليوم الآخر، فعلامة كونه –صلى الله عليه وسلم– قدوةً لك أن ترجو الله، وأن ترجو ما عند الله، وأن ترجو اليوم الآخر، وأن تذكر الله كثيرا...، فلذلك جاء التعقيب الآخر: [وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا]، فليس النبي –صلى الله عليه وسلم– أسوةً لك إلا إذا اتبعت أمر الله, فطاعة الله من طاعة رسوله، قال تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

وَمَنْ تَابَ مَعَكَ][هود:١١٢]، فمن لوازم هذا الرجاء الصادق، وهذا الذكر الكثير، أن يكون النبي –صلى الله عليه وسلم–، ملء سمعك وبصرك، بأقواله، وأفعاله، وسنَّته، ورضاه، وغضبه، وبسلمه وحربه، وبعطائه ومنعه، وبمودَّته وجفوته، وبعبادته، وبصلاته وبصيامه، وبإنفاقه، وبحجّه...والأمر لا ينصب على ذكر الله فحسب، بل على ذكر الله الكثير؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا][الأحزاب:٤١]"[١٢].

ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: "[أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ][الأنعام: ٩٠]، ألله عزَّ وجل ذكر في الآيات السابقة الأنبياء جميعاً تقريباً، ثم قال: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ]؛ أي: اجعلهم مثلاً عليا، واجعلهم قدوة، واقتد بهم، فالمؤمن الصادق قدوته الأنبياء والمرسلون، وقدوته في الدرجة الأولى النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، في بيته, وفي أحواله، وفي تواضعه، وفي تقشّفه، وفي محبته لأهله، وفي محبته لأولاده، وفي صبره على إخوانه، قدوتك النبي –صلى الله عليه وسلم–، والشباب في ريعان الشباب قدوته سيدنا يوسف، وفتاة في ريعان الشباب قدوتها السيدة مريم بعفتها، وطهارتها، وسموها، وأب قدوته نبيٌّ كان أباً رحيماً، وهكذا، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– هو الأول، وكل نبي له قصة"[١٣].

المطلب الثالث :لماذا الأنبياء قددوة لنا؟

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: "فالله سبحانه وتعالى اصطفي من خلقه رسلاً؛ ليبلغوا دعوته للناس، وأمرنا ربنا سبحانه باتباع هؤلاء الرسل في كل حركاتهم وسكناتهم، فهل يعقل أن يقع خطأ من رسول؟ و...، هذا مستحيل, فهل نلغي أمر الله لنا باتباعهم؟ هذا أيضاً مستحيل، فما الحلّ؟

ما عليه جمهور العلماء – كما ذكر القرطبي وغيره–[١٤]، أن عصمة الأنبياء من صفاتهم الأساسية؛ أي: أنهم معصومون من أن يقعوا في كل أنواع المعصية والخطأ والمخالفة والإثم؛ في معتقداتهم، وفي أفعالهم، وفي أخلاقهم، فعصمة الأنبياء مقطوع بها، ولو لم يكن الأنبياء معصومين؛ لاختل ميزان الشريعة؛ لأن الله سبحانه وتعالى يأمرنا فيقول: [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] [الحشر:٧]، فأمرنا الله عزَّ وجل أن نأخذ كل ما أمرنا به النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأن نترك كل ما نهانا عنه، فإذا كان يصح أن يقع النبي في خطأ أوغيره؛ نقول حينها: يا رب كيف تأمرنا أن نتبعه وهو يخطئ؟ أن نلغي أمرك، أم نتبع خطأه، كل هذا لن يكون؛ لأن الأنبياء معصومون. و(معصوم) اسم مفعول من (عَصَم) ومعنى (عَصَم): منع، قال تعالى على لسان ابن سيدنا نوح: [قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ][هود:٤٣]، وقال: [وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ][يوسف:٣٢]؛ أي: امتنع، وسميت العصمة عصمةً؛ لأنها تمنع صاحبها من ارتكاب المعصية، والله سبحانه وتعالى حدثنا عن أنبيائه الكرام جملةً لا تفصيلاً حين قال: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ][الأنعام: ٩٠]، أي: أنت أيها المؤمن مطالب أن تقتدي بهدي الأنبياء جميعاً، ونحن المسلمون مطالبون بأن نقتدي بهدي نبينا –صلى الله عليه وسلم– يقول الله عزَّ وجل: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ][الأحزاب:٢١]، إذاً هو أسوة حسنةٌ، وهو قدوةٌ صالحةٌ، وهو مثل أعلى، ولذلك يستحيل الخطأ على الأنبياء؛ لأنهم قدوة، ولأن مقام النبي مقام التشريع في أفعاله، وأقواله، وسكوته، وحركاته، وسكناته، وأخلاقه، ومعاملاته، فيجب أن نعتقد اعتقاداً جازماً بعصمة الأنبياء والمرسلين جميعاً، فهو جزء من العقيده الإسلاميه الصحيحة[١٥].ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: [وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا][الفرقان:٧] "فلمَّا يئسوا من أن يصرفوه عن هذه الدعوة؛ بحثوا عن مطعنٍ في شخصه، وعندئذٍ قالوا: يا محمد؛ إنك تأكل، ولو كنت رسولاً؛ ما أكلت، فهم تصوروا أن الرسول كالملَك، ولابدَّ من أن يكون الرسول ملكاً في زعمهم، والأكل من صفات البشر، فكأنَّهم غفلوا عن حقيقته، ونظروا إلى بشريَّته، فرأوه بشراً مثلهم. نعم النبي –صلى الله عليه وسلم– بشر يأكل، قال تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ] [الكهف:١١٠]، والنبي–صلى الله عليه وسلم– قال كما أخرجه مسلم عن أنس: ((إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر))[١٦]، فبشريَّته –صلى الله عليه وسلم– حجبتهم عن حقيقته، ولو أنه كان ملكاً؛ لقال الناس جميعاً: هذا مَلَك ونحن بشر، فما استطاع أن يأمرهم بشيءٍ، ولو أن الله عزَّ وجل جعل نبيَّاً مَلَكا لقال الناس جميعاً: هذا الشرع لا نستطيع أن نطبِّقَهُ؛ لأن هذا الذي يدعونا مَلَك لا يشعر بمشاعرنا، وليس فيه نوازع داخليَّة أرضيَّة، وليس عنده الشهوات التي أودعها الله فينا...، فلا يستطيع أن ينصح الآخرين إلا من يعيش معهم، ويحيى مشكلتهم. إذاً لا يمكن أن يكون النبي إلا من بني البشر؛ لأنه قدوة صالحة، وأسوة حسنة، ومثلٌ أعلى، جعله الله عزَّ وجل سيد البشر، فأودع الله فيه كل الشهوات، وجعله يجوع، وجعله يعطش، وجعله يتعب، وجعله يشعر بحاجة إلى النوم، ومع ذلك جاهد في سبيل الله حق جهاده[١٧]وما ذكره الدكتور محمد راتب النابلسي من عصمة الأنبياء، وما استدل به على عصمتهم من النقل والعقل واللغة، وبالتالي وجوب الاقتداء بهم، يمكن دراسة هذه المسألة بأن الناس فطروا على افتقاد القدوة، والبحث عن الأسوة، ليكون لهم نبراساً يضيء سبيل الحق، ومثالاً حياً يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله، لذلك اختار الله من بني البشر صفوتهم، واصطفاهم، وعصَّمهم من الخطأ والزلل، وكل ما يعاب به المرء، ويشتكي منه، ويؤذى بذكره، وبعثهم إلى أممهم. ذكر القرطبي في تفسيره هذه المسألة باختصار ونسبه إلى جمهور الفقهاء، حيث قال: "وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب

مالك، وأبي حنيفة، والشافعي: إنهم معصومون من الصغائر كلها، كعصمتهم من الكبائر أجمعها، لأنا أُمرنا باتباعهم في أفعالهم وأثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يكن الاقتداء بهم، إذا ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة أو الحضر أو المعصية، ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية، لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين. قال الأستاذ أبو إسحاق الاسفراني: واختلفوا في الصغائر، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم، وصار بعضهم إلى تجويزها، ولا أصل لهذه المقالة"[١٨].

المطلب الرابع :في أهمية القدوة، وتأثيرها.

تكلم الدكتور محمد راتب النابلسي في ثنايا تفسيره عن أهمية القدوة، وتأثيرها حيث يقول: عند تفسيره لقوله تعالى:[فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ][آل عمران:٢٠]. "فهناك مهمتان كبيرتان للنبي الكريم؛ إحداهما مهمة التبليغ، وثانيهما مهمة القدوة، ولعل مهمة القدوة أخطر وأبلغ من جهة التبليغ، فأي إنسان أوتي فصاحةً، وبياناً، وذاكرةً، وفهماً، وحفظاً، يُبَلِّغ، ولكن الذي يُؤثر قليلٌ، فهناك من يقنعك, وهناك من يحملك على اتخاذ موقفٍ معين، فالذي يقنعك فصيحٌ بليغٌ عالمٌ، وأما الذي يحملك على أن تقف موقفاً إيجابياً من الدين؛ فهو القدوة لذلك نحن بحاجة ماسّةٍ إلى قدوة صالحة، فكيف كان النبيى –صلى الله عليه وسلم– قرآناً يمشي؟ نحن في حاجة إلى مسلم يتحرَّك أمامنا، مسلم صادق، أمين، عفيف، طاهر، منصف، متواضع، رحيمً، فهذا أبلغ، فحال واحد في ألف أبلغ من قول ألف في واحد، فقد لا يؤثر قول ألف رجلٍ فصيحٍ في واحد، ولكن حال إنسانٍ مخلص متصلٍ بالله، وحال واحدٍ أبلغ من قول ألف"[١٩]ويقول أيضاً: "القدوه شيء مهم جداً، وأنت إذا أردت أن تكون داعية؛ ينبغي أن تكون قدوة قبل أن تنطق، فالقدوه قبل الدعوة، فهل تتأسَّى برسول الله في بيعك، وشرائك؟ وفي معاملتك لأهلك وأولادك؟ وفي علاقتك بإخوانك؟ هل تميّز نفسك عليهم أو تتواضع لهم؟ الإحسان قبل البيان، فينبغي أن تكون محسناً، وينبغي أن تفتح قلوب من حولك بإحسانك؛ ليفتحوا عقولهم لبيانك، فالذي يؤثر في الناس الآن أن يروا مسلماً صادقاً، أميناً، مخلصاً، ورعاً، فهذه القيم الأخلاقية ينبغي أن تكون متمثلة في إنسان تراه بعينك، تراي خطواته، وترى أخلاقه، وترى عطاءه، وترى ورعه، وترى حلمه، وترى رحمته، وترى قربه من الله،، فيمكن أن تنتفع من طبيب، وقد يكون فاسقاً أو يكون شارب خمر، أو يكون ملحداً، فإنما يعنيك علمه، لكن في الحقل الديني لا يمكن أن تنتفع بدعوة إلى الله عزَّ وجل إلا إذا رأيتها مطبقة بحذافيرها من الذي يدعوك إليها، ففي حقل الدين لا يمكن أن نَفْصِلَ القول عن العمل، ومن أنجع أساليب التربية أن تكون أنت القدوة، فكن قدوة واسكت؛ لأن فعلك تعليم، فالأب حينما يغض بصره عن محارم الله؛ يكون في البيت جو من الانضباط، وأما حين يتابع الأفلام التي لا ترضى الله على مرأى من أولاده، وعلى مسمع منهم، فلن يستطيع أن يضبطهم بعد ذلك، وإن لم يكن صادقاً؛ فلن يستطيع أن يحمل أولاده على الصدق، وإن لم يكن عفيفاً؛ فلن يستطيع أن يحمل أولاده على العفة، وإذا كان يدخِّن ثم رأى ابنه يدخِّن؛ فلن يستطيع أن ينهاه، ولا أن يقول له كلمة، لأن الابن يقلد الأب.."[٢٠].

ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: [وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ][البقرة:١٢٤]، ومعنى (الإمام): أنه في الأمام، فإذا كان في الأمام؛ صار إماماً، وإذا كان أمام من حوله في الورع، والاستقامة، والإخلاص، والتقوى، والحب ؛ صار إماماً، فالإمام يجب أن يكون أمام كل من حوله، وأن يكون قدوةً لهم، ومثلاً أعلى يحتذى قال تعالى:[قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ () اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ][يس:٢٠-٢١]"[٢١]إن ما تكلم عنه الدكتور محمد راتب النابلسي عن أهمية القدوة، وتأثيرها، يمكن دراستها بأن للقدوة المربي أثراً بالغاً في تربية وتوجيه المتربين، والتأثير عليهم سلباً كان أو إيجاباً، فالطالب إذا أحب معلمه جعله قدوته الحيَّة، ومثله الأعلى، وقلده في كل ما يأتي ويذر من الأقوال والأفعال، بل: والأفكار والإعتقادات.. وهذا واقع ملموس مشاهد، لأنه من البديهيات المعروفة للجميع أن: (فاقد الشيء لا يعطيه)[٢٢]، وأن: (كل إناء بما فيه ينضح)[٢٣]، فإذا أردنا من المربي، سواء كان أباً، أو أماً، أو معلماً، أو..، أن يربي طلابه على القيم والخلق الفاضلة فكراً وسلوكاً، فلا بد أن يكون المربي نفسه كذلك؛ وأن يكون هو نفسه قدوة ومثالاً حيّاً للمتربن، ومما يدل على تأثير القدوة:فعله –صلى الله عليه وسلم–، كما في حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، قَالَ: (اتَّخَذَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–، خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم:– ((إِنِّى اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ)) فَنَبَذَهُ وَقَالَ: ((إِنِّى لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا))، فَنَبَذَ النَّاسُ)[٢٤]، "فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول"[٢٥]، ولو تأملنا أثر تأثير فعله –صلى الله عليه وسلم–، في غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة على الصحابة رضي الله عنهم، عندما كان النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأصحابه محرمين بالعمرة، وردهم المشركون عن البيت، وأمر النبي –صلى الله عليه وسلم–، أصحابه بالتحلل من عمرتهم، وتأخر الصحابة في تنفيذ الأمر رجاء أن يؤذن لهم في القتال، وينصروا على المشركين، ومن ثم يكملوا عمرتهم، حيث أنهم سمعوا بشارة الرسول –صلى الله عليه وسلم– بفتح مكة، ودخولهافدخل النبي–صلى الله عليه وسلم– ، على أم سلمة رضي الله عنها، وعليه أمارات الغضب، بسبب تأخر الصحابة عن الاستجابة لأمره بالتحلل، فأشارت عليه أم سلمة رضي الله عنها،

بقولها: اخرج إليهم، ولا تكلم أحداً منهم حتى تذبح هديك، وتحلق.وما أن فعل الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ذلك ورآه الصحابة؛ إلا وتتابعوا مسرعين في تنفيذ أمره، والاقتداء بفعله، فهذا المثال وغيره كثير في السنة يدلك على أهمية القدوة الحسنة، وأن القول إذ انضم إليه الفعل كان أبلغ من القول المجرد، وكيف أن لها أعظم الأثر في الاستقامة وسلوك طريق الجادة[٢٦].ثم أن المثال الحي، والقدوة الحسنة، يثيران في نفس المتربي قدراً كبيراً من الإعجاب والاستحسان والتقدير والمحبة، فيميل إلى الخير، ويتطلع لمراتب الكمال، ويسعى لتقليد ذلك المثال، والعمل بمثل عمله ليرتقي في درجات الكمال، وأن المربي القدوة له دور مهم في بناء الإنسان، وله أثر كبير على تحديد وجهة الإنسان الدينية والنفسية عموماً، وخاصة في المراحل الأولى للطفولة، لأن من طبيعة الإنسان –لا سيما الصغار– التفاعل والتشبه بالكبار، وبمن يُكِّن لهم الإحترام، وهم يتعلمون بالقدوة والمشاهدة أكثر بكثير مما نظنه ونتصوره، فغالباً الإبن يحاكي ما يراه ويشاهده من أفعال والده، وتعامله مع أهل بيته، ومع من حوله من الأقارب والزملاء والجيران و...، كما أن البنت تحاكي ما تراها وتشاهدها من أفعال والدتها، وتعاملاتها مع زوجها، ومتعلقاتها من الأقارب و..، وكلاهما من معلمهما ومربيهما، من دون أن نشعر بذلك ونحسِب له غالباً، وذلك لأن مستويات فهم الكلام عند الناس متفاوتة، ولكنهم يستون أمام الرؤية بالعين المجردة، فإيصال المعلومة عن طريق الفعل أبلغ بكثير، وأقوى في التأثير من مجرد القول، "فالأطفال يبدؤون المحاكات والتقليد في السنة الثانية أو قبلها بقليل، وفي حوالي السنة السادسة من عمرهم تقريباً يدركون ويحددون مدي التزام آبائهم وأمهاتهم بالتوجيهات التي يوجهونهم إليها، والأوامر والنواهي التي يأمرونهم بها، وينهونهم عنها[٢٧]، فتصبح الإتجاهات النفسية لأولادنا نفس اتجاهاتنا النفسية، و"بناء على هذا يكون التعود على فعل الخير بالقدوة الصالحة في أول الأمر هو المنهج الصحيح للتربية الإسلامية"[٢٨]، كما يتطلب هذا من الآباء والأمهات والمعلمين والمربين الإبتعاد عن المتناقضات بين الأفعال والأقوال خاصة أمام أطفالهم والمتربين، وأن لا يظهروا أمامهم إلا بصورة حسنة، فعلى سبيل المثال لا الحصر على ذلك: لو أن المعلم حذر الطفل والمتربين من خطورة وأضرار التدخين، ثم وجد الطفل أباه يدخن، أو بالعكس، فما هو تأثير ذلك على نفسية الطفل!!!، وقد تنبه السلف الصالح إلى هذا الأمر وأهميته، كما نلمس ذلك في تنبيه عتبة بن أبي سفيان[٢٩] لمؤدب ولده بقوله: "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بنيَّ إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روِّهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه..."[٣٠]، و"حين توجد القدوة الحسنة متمثلة في الأب المسلم، والأم ذات الدين، والمعلم الفاضل، فإن كثيراً من الجهد المطلوب لتنشئة الطفل على الإسلام يكون ميسوراً، وقريب الثمرة في ذات الوقت؛ لأن الطفل سيتشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به بطريقة تلقائية، وليس معنى هذا أن الطفل لن يحتاج إلى جهد على الإطلاق في عملية التربية، أو أنها ستتم تلقائياً عن طريق القدوة وحدها، ولكن الذي يمكن قوله هنا، إن القدوة الطيبة هي دائماً قيمة موجبة، يحدث بإزائها قدر مساو من الجهد الذي يجب بذله"[٣١]،

المطلب الخامس :في أهم مجالات القدوة، وواقعيتها، ومضاعفة الثواب والوزر للقدوة.

يرى النابلسي أن مجالات القدوة تكمن في البيت، والمدرسة، والعلاقات، والمؤسسات، والمساجد، وأنها واقعية، كما يرى أن القدوة مسؤلية كبيرة، فلا بدَّ أن يحسب لها حسابها لأن الشخص القدوة تتضاعف ثوابه إن كان أسوة حسنة، كما تتضاعف وزره، وعقابه إن كان أسوة سيِّئة، حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: "[إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا][الأحزاب:٣٣]؛ فهمنا أن أهل بيت النبي هم أقرباء النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكل من يلوذ به من النساء والرجال، صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، وذلك التخصيص لأهل بيته –صلى الله عليه وسلم–، يدل على أنه شيء مقدس جداً، وجاءت الكلمة معرَّفة؛ للدلالة على علو منزلته، فكما أن نبينا؛ نبيّ هذه الأمة، ورسولها، الذي يوحى إليه، وهو المعصوم، هذا النبي العظيم الذي جعله الله رحمةً مهداةً، ونعمةً مسجاةً؛ فكما أنه عظيم؛ فبالتبعيَّة أهل بيته محطُّ أنظار، وحديث الألسُن، فلو أن هناك مسافة كبيرة جداً بينه وبين أهل بيته لارتبك الناس, ولشكّوا في عظمة هذا الدين، ولو أن الناس رأوا النبي–صلى الله عليه وسلم–، في أعلى درجة، ولم يروا نساءه في المستوى اللاّئق بهن، لتزلزلت نفوسهم واختلَّ توازنهم.فهذا الحق الذي جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم–، يجب أن يكون متمثِّلاً في بيته، فإن لم يكن كذلك؛ فسينشأ سؤلان خطيران: أهذه الدعوة واقعيَّة؟ وهل هيَّ مطبَّقة؟ إن لم تُطَبَّق هذه الدعوة في بيت النبي –صلى الله عليه وسلم–، فليست واقعيَّة، وإن كانت بالإمكان أن تُطَبَّق ولم تُطَبَّق؛ فهناك مأخذٌ كبير على النبي –صلى الله عليه وسلم–، فمن لوازم الدعوة أن تكون قابلةً للتطبيق ومطبَّقةً في وقت واحد، فالإنحراف يسبب للأتباع اضطراباً؛ وزلزلةً، وقلقاً، وشكاً، وطعناً، وليس من المعقول أن تفصل إنساناً عن بيته، فمن دعا إلى الله عزَّ وجل؛ فليتنبه إلى أهل البيت؛ لأن خللاً في البيت يضعف الدعوة إلى الله عزَّ وجل.فما بال هذا المؤمن لا تكون زوجته على وضع مقبول شرعاً؟ وهؤلاء أولاده, وهؤلاء بناته؟! فالناس يرقبون بيته، ويتبعون أهل بيته؛ ليعلموا هل هذا الذي يدعونا إليه مطبقٌ في بيته وفي حياته الخاصة أم أن الدعوة ارتزاق؟ إن لم يكن أهله وبناته على المستوى الذي يدعوا إليه، وإن لم يأتمر هو وأهله بما يدعو, وإن لم ينته هو وأهله

عما ينهى؛ فكيف يصدِّق الناس دعوته؟ ليس المهم أن تدعو إلى الله عزَّ وجل فحسب، ولكن المهم أن يرى الناس أثراً لهذه الدعوة من خلال حياتك الخاصَّة, ومن خلال عملك وبيتك وتحاورك، ونشاطك. فماذا يُستنبط من هذه الآية؟ وماذا يُستفاد؟ يُستفاد أنك إذا دعوت الى الله؛ فالناس لا يلقون بالاً إلى ما تقول، بل ينظرون إلى عملك، وإلى علاقاتك، وانضباطك، وطاعتك، وجهدك. وورعك، فأن تكون في مستوى الدعوة، وأن تكون قدوة لمن تدعو، ومثلاً أعلى لمن تدعو ومناراً لهم؛ هذا كله أخطر من الدعوة نفسها، وهذا مما يُستفاد من هذه الآية"[٣٢]، ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: [فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا][الأحزاب:٢٩] "إذا أخبر خالق الكون العظيم عن الأجر بأنه عظيم؛ فماذا تعني كلمة (عظيم) من العظيم؟! وهذه الآيه تدل على أن الإنسان القدوة له جزاء خاص، وحساب خاص....، فإذا أحسن؛ فله أجران؛ أجره هو؛ لأنه أحسن، وأجر من اقتدى به؛ لأنه قدوة، وإذا أساء؛ يعاقب مرتين؛ مرةً لأنه أساء؛ ومرةً لأن الآخرين اقتدوا به في الإساءة، وهذا حساب عليّةِ القوم"[٣٣]، ويقول أيضاً: " فالذنوب تعظُم كل ما على مقام الإنسان [يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ][الأحزاب:٣٠]، وهذا حساب القدوة، وأوضح ما يدل على ذلك قول سيدنا عمر رضي الله عنه حينما جمع أهله وخاصَّته: (إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وإنهم إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم؛ وقعوا، وإن هبتم؛ هابوا، وأيم الله لا أوتي برجل منكم فعل الذي نَهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبه مرتين؛ لمكانه مني)[٣٤]، وكذا كل إنسان له مكانة له عقاب مضاعف...، لو أن أستاذاً دخَّن أمام طلابه، وهو أستاذ مثقف، ملء السمع والبصر، شخصيته قوية، ومعلوماته جيدة، وتعامله راق، لصار ما يفعله شيئاً مسوغاً عند الطلاب، فقد يعاقبه الله مرتين؛ مرةً على أنه آذى نفسه بهذا الدُّخان، ومرةً على أنه كان قدوةً سيئةً للطلاب، وإذا كذبت الأم على زوجها أمام أولادها؛ عُوقبت مرتين أيضاً؛ لأنها قالت له أمامهم: لم أخرج من البيت، وهم رأوها خرجت ورجعت، فصارت قدوة لهم في أن الكذب مقبول، فالأم تكذب وهم يكذبون، فكل إنسان له مكانة، وكل إنسان له سلطان، ولو على شخص واحد؛ فله حسابٌ خاص، وهذا هو حساب القدوة عقابٌ مضاعف، وأجرٌ مضاعف"[٣٥].ويتضح مما تكلم عنه الدكتور محمد راتب النابلسي عن مجالات القدوة، وواقعيتها، ومضاعفة الثواب والوزر للقدوة، ثم استدلاله لهذه المسألة يمكن دراستها بأن للقدوة مجالات واسعة، وأنها مهمة حسَّاسةٌ يتطلب لمن تصدر لهذه المهمة من الآباء والأمهات والمعلمين والمربين والدعاة والرؤساء، و..، الإبتعاد عن المتناقضات بين الأفعال والأقوال لأن المتربين والدعاة بالنسبة للمربين والدعاة، والمرؤسين بالنسبة لرئيسهم، كل أولئك لقدواتهم في مجالاتهم؛ نظرةً فاحصةً دقيقةً هي أشبه بالرقابة المجهرية، وهم في ذلك يجعلونه محلاً للإتباع والإحتجاج في جليل أمره وحقيره مما يحتِّم عليه أن يكون قدوة حسنةً.لذلك إن من أقبح المنكرات، وأرذل الأخلاق وأشنعها أن يكون الأب أو الأم، أو المعلم والمربي، أو الصديق والصاحب، أو إمام المسجد، أو مدير المؤسسة، إماماً في الشر، متبوعاً وداعياً وهادياً إلى غير ما يرضى الله عزَّ وجل. فكيف إذا كان هو الشرارة الأولى، وهو الذي بدأ بسَنِّ الرذيلة أو السيئة، في أهله، أو مدرسته، أو مؤسسته، أو مجلسه فهذه ظلمات بعضها فوق بعض يتحمل وزر من تبعه ويحمل مثل عمله فالله سبحانه وتعالى حذَّرنا في آيات كثيرة منها قوله تعالى: [لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ][النحل:٢٥]، ومنها قوله تعالى: [الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ][النحل:٨٨]، فالله سبحانه وتعالى "لَمَّا ذكر وعيد الذين كفروا، أتبعه بوعيد من ضمَّ إلى كفره صدَّ الغير عن سبيل الله...والأصح أنه يتناول جملة الإيمان بالله والرسول وبالشرائع، لأن اللفظ عام...، وقوله: [زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ] فالمعنى أنهم زادوا على كفرهم صدَّ غيرهم عن الإيمان فهم في الحقيقة ازدادوا كفراً على كفر، فلا جرم يزيدهم الله تعالى عذاباً على عذاب، وأيضاً أتباعهم إنما اقتدوا بهم في الكفر، فوجب أن يحصل لهم مثل عقاب أتباعهم لقوله تعالى: [وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ][العنكبوت: ١٣]"[٣٦]، وقوله تعالى: [عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ][الإنفطار:٥] قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما قدمت من خير، وما أخرت من سنة استن بها بعده، فله مثل أجر من اتبعه، أو سيئة فعليه مثل وزر من عمل بها"[٣٧]، وحذَّرنا النبي –صلى الله عليه وسلم– في أحاديث كثيرة منها ما رواها عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً[٣٨] يجرُّ قُصبه[٣٩]، وهو أول من سيَّبَ السَّوائب[٤٠]))[٤١]، ومن ذلك أيضاً كتابه –صلى الله عليه وسلم– الذي أرسله مع دحية بن خليفة الكلبي[٤٢]، إلى هرقل عظيم الروم، وفيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيّين[٤٣]))[٤٤]. أي: عليك إثمك، وإثمهم لصدك إياهم عن الدين و"معناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبَّه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا، وإذا امتنع امتنعوا"[٤٥]، ومن الأحاديث النبوية التي وردت بهذا الشأن، وفيها بيان العقوبة الشديدة التي تلحق من يأمر الناس بالخير وينسى نفسه؛ كما في حديث أسامة بن زيد ضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، يقول: ((يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ – أَيْ أَمْعَاؤُهُ وَمَعْنَى تَنْدَلِقُ أَيْ تَخْرُجُ – فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ، أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى

عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلِيَ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ))[٤٦]، وكما في حديث أنس رضي الله عنه: ((أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفاهُهُمْ بِمقاريضَ مِنْ نارٍ، كُلَّما قُرِضتْ عادتْ، قُلْتُ: مَنْ هؤلاء يَا جِبْرِيْلُ؟ قال: هَؤلاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الذينَ يقُولُونَ ولا يَفْعَلُون ويقرءُونَ كِتَابَ اللَّهِ ولا يعملُون بِهِ))[٤٧]ومما يوضح أهمية القدوة الحسنة ومضاعفة ثوابها لصاحبه ما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه، أن رجلاً تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم:– ((من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيِّئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))[٤٨]فغاية الأمر أن ما فعله ذلك الصحابي كان فاتحة الخير، فانفتح بسببه باب الصدقة وتتابع الأصحاب بعده، فكان له الفضل في تشجيع الصحابة بفعله على الصدقة، ومعنى السنة الحسنة يتسع ويشمل كل ما كان من أبواب الخير المشروعة، وحث عليه الشرع، كما أن معنى السنة السيئة يتسع ويشمل كل ما يضاد ويناقض ذلك، وحذَّر ونهى عنها الشرع، وتوعد مرتكبها بالعقوبة، بل بمضاعفة العقوبة له لكونه سبَّاقا إليها وتتابعه الناس يقول الراغب الأصفهاني: "حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويُبصر ثم يُبَصِّر، ويهتدي ثم يهدي،...، ويجب أن لا يجرح مقاله بفعاله، ولا يكذب لسانه بحاله،...، والواعظ ما لم يكن مع مقاله فعاله لا ينتفع به وذلك أن عمله يدرك بالبصر، وعلمه مدرك بالبصيرة، وأكثر الناس أصحاب الأبصار دون البصائر..، ومنزلة الواعظ من الموعوظ كمنزلة المداوي من المداوى، فكما أن الطبيب إذا قال للناس: لا تأكلوا هذا فإنه سم قاتل، ثم رأوه آكلاً له عُدَّ سخرية وهزأً، كذلك الواعظ إذا أمر بما لا يعمله...قال تعالى: [لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ () كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ][الصف: ٢–٣] فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما محال أن ينطبع الطين بما ليس منتقشاً في الطابع كذلك محال أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس بموجود في نفس الواعظ...، وأيضاً فإن الواعظ يجري من الناس مجرى الظل من ذي الظل، فكما أنه محال أن يعوج ذو الظل والظل مستقيم، كذلك من المحال أن يعوج الواعظ والموعوظ مستقيم...فمن ترشح للوعظ ثم فعل فعلاً قبيحاً اقتدى به غيره فقد جمع بين وزره ووزرهم كما قال تعالى: [لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ][النحل:٢٥]"[٤٩]. وقد روي عن علي رضي الله عنه: (قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك وعالم متهتك، فالجاهل يغُرُّ الناس بتنسكه، والعالم يُنَفِّرهم بتهتكه) [٥٠]، وقال ابن الجوزي: لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه"[٥١]، "والإستدلال بالفعل أقوى من الإستدلال بالقول، فإن الطبيب إذا أمر بالحمية ثم خلط لم يلتفت إلى قوله"[٥٢]هذه النماذج من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية وغيرها، تُبَيِّنُ أهمية القدوة وخطورتها في نفس الوقت، فعلى الإنسان المسلم المربي والداعية والمعلم وغيرهم من الذين هم موضع قدوة أن لا يتعلم الناس منهم إلا الخير، وأن يحرصوا كل الحرص على ذلك. فإن انحرافهم سبب في انحراف كل من تأثروا بهم، أوسمعوا منهم، وتلقوا عنهم، لأنه كلما عظم مكانة الإنسان، كان مسؤليته أعظم وموقفه أصعب، وفضيحته أفدح، كأن يكون أباً أو أماً في أسرة، أو مسؤلاً ورئيساً في مؤسسة ودائرة، أو مديراً في مدرسة، أو واعظاً وخطيباً وإماما في مسجد، أو ما أشبه هذه المسؤليات، التي تجعل من الإنسان المسلم يُحاسب عليها أكثر من غيره، وعليه أن يتفقد نفسه أكثر من غيره؛ لأن خطأه وذلته وهفوته ليست كغيره.كم هو عار وقبيح، أن يسقط الشخص ذو المكانة والهيبة من أعين وقلوب أولاده، أو طلابه، أو مرؤوسيه، أو متبوعيه، لو عُرف عنه أنه سيء الأخلاق والسمعة، ناهيك عن شخص يتصور منه مكانة دينية داع إلى الفضائل، وهو متلبس بالرزائل.وأما بالنسبة لكلامه في واقعية القدوة، فإن القدوة الحسنة الصادقة الحيَّة؛ تعطي المتربين قناعةً بأن القدوة الحسنة الصادقة الحيَّة، من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى وأبلغ من شاهد المقال.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث نستخلص منه بعض النتائج:

١- إن التربية بأسلوب القدوة الحسنة أسلوب قرآني عظيم، وتُعدُّ من الوسائل المؤثرة في التوجيه والتربية، ووسيلة فعَّالة من وسائل التربية لترسيخ مكارم الأخلاق وتهذيب النفوس لا سيَّما للأطفال والجيل الصاعد.

٢- إن في القرآن الكريم، وبيانه السنة النبوية –، صلى الله عليه وسلم–، أساليب تربويّة متعددة لتربية النفوس وتهذيب السلوك، فمن أهم هذه الأساليب أسلوب التربية بالقدوة الحسنة.

٣- كلما عظم مكانة الإنسان، كان مسؤليته أعظم وموقفه أصعب، وفضيحته أفدح، كأن يكون أباً أو أماً في أسرة، أو مسؤلاً ورئيساً في مؤسسة ودائرة، أو مديراً في مدرسة، أو واعظاً وخطيباً وإماما في مسجد، أو ما أشبه هذه المسؤليات، التي تجعل من الإنسان المسلم يُحاسب عليها أكثر من غيره، وعليه أن يتفقد نفسه أكثر من غيره؛ لأن خطأه وذلته وهفوته ليست كغيره.

٤- إن المثال الحي، والقدوة الحسنة، يثيران في نفس المتربي قدراً كبيراً من الإعجاب والإستحسان والتقدير والمحبة، وأن المربي القدوة له دور مهم في بناء الإنسان، وله أثر كبير على تحديد وجهة الإنسان الدينية والنفسية عموماً، وخاصة في المراحل الأولى للطفولة، فيميل بذلك المتربي إلى الخير، ويتطلع لمراتب الكمال، ويسعى لتقليد ذلك المثال، والعمل بمثل عمله ليرتقي في درجات الكمال، لأن من طبيعة الإنسان -لا سيما الصغار- التفاعل والتشبه بالكبار، وبمن يُكِّن لهم الإحترام، وهم يتعلمون بالقدوة والمشاهدة أكثر بكثير مما نظنه ونتصوره.

٥- إن القدوة الحسنة الصادقة الحيَّة؛ تعطي المتربين قناعةً بأن القدوة الحسنة الصادقة الحيَّة، من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى وأبلغ من شاهد المقال.

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو العباس، المتوفى: ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت، بدون بيانات.

٢. لسان العرب, لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ), دار صادر, بيروت, ط٣: ١٤١٤هـ,.

٣. معجم مقاييس اللغة, لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى: ٣٩٥هـ, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, إتحادالكُتاب العرب, ط، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤. المفردات في غريب القرآن, أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني, تحقيق: صفوان عدنان الداودي, دمشق، بيروت, دار القلم, دار الشامية, ط١، ١٤١٢هـ.

٥. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم-، عدد من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة-جدة، ط٤.

٦. مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. عبد الرحمن صالح عبدالله، وناصر أحمد خوالده، ومحمد عبدالله الصمادين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٧. الاقتداء بالأنبياء بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد:٤، السنة: ١٤٣٥، سامي بن على القايطي.

٨. التنشئة الاجتماعية، معن خليل العمر، عمان- دار الشروق، ط٦، ٢٠٠٤م.

٩. تفسير النابلسي (تدبر آيات الله في النفس و الكون والحياة), محمد راتب النابلسي, عمان- مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع, ط١, ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ.

١٠. القدوة مباديء ونماذج، د. صالح بن عبدالله بن حميد، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

١١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-, (صحيح مسلم), أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى:٢٦١هـ, دار الجيل، بيروت, ط، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إستانبول، ١٣٣٤هـ.

١٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (صحيح البخاري), محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي, أبو عبدالله, المتوفى:٢٥٦هـ, تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر, دارطوق النجاة, ط١, ١٤٢٢هـ.

١٣. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى: ٦٧١هـ, تحقيق: أحمد البردوني, وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٤. معجم الإستشهادات، الدكتور: علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط١.

١٥. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري المتوفى: ٥١٨هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تأريخ.

١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري, شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، المتوفى:٨٥٢هـ, رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي, قام بإخراجه وتصحيحه والإشراف على طبعه: محب الدين الخطيب, بيروت، دار المعرفة, ط: ١٣٧٩هـ.

١٧. مسؤلية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن صالح باحارث، جدة-السعودية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١٠.

١٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي المكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفى: ٦٣٠هـ، تحقيق: علي محمد معوض–عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١.

١٩. الأعلام, لخير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي المتوفى: ١٣٩٦هـ, دار العلم للملايين, ط١٥, ٢٠٠٢م.

٢٠. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ المتوفى: ٢٥٥هـ، دار ومكتبة الهلال–بيروت، ط١٤٢٣هـ.

٢١. مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي أحمد مدكور، دار الفكر العربي، ط، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

٢٢. مصنف ابن أبي شيبة، أبوبكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المتوفى: ٢٣٥هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد–الرياض, ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٣. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفصل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الحجر العسقلاني، المتوفى:٨٥٢هـ, تحيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٤. مفاتح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحين بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الرازي، خطيب الري، المتوفي: ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٥. شرح السنة، محي السنة، أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المتوفى: ٥١٦هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهيرالشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق–بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

٢٦. الإستيعاب لمعرفة الأصحاب، م٢، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المتوفى: ٤٦٣هـ، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل–بيروت، ط ١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

٢٧. النهاية في غريب الحديث والأثر, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن أثير, المتوفى: ٦٠٦هـ, تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية، بيروت، ط, ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج, (شرح النووي على صحيح مسلم)، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى:٦٧٦هـ), بيروت–دار إحياء التراث العربي, ط٢, ١٣٩٢هـ.

٢٩. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخُسْرَوجِردي الخراساني، أبوبكر البيهقي المتوفى: ٤٨٥هـ، تحقيق: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

٣٠. سير أعلام النبلاء, شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي, المتوفى: ٧٨هـ، تحقيق: مجموعة من المحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤط, مؤسسة الرسالة, ط٣، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

٣١. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقوردي الألباني المتوفى: ١٤٢٠هـ، المكتب الإسلامي.

٣٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى: ٥٠٢هـ، تحقيق: دز أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام–القاهرة، ط ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

٣٣. ميزان العمل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى: ٥٠٥هـ، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف–مصر، ط١، ١٩٦٤م.

٣٤. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧هـ، تحقيق: حسن مساحي سويدان، دار القلم–دمشق، ط١، ١٢٥هـ–٢٠٠٤م.

٣٥. التبصرة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧هـ، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، دار الكتاب المصري–دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٠هـ–١٩٧٠م.

هوامش البحث

[١] – ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٥/١٧١–١٧٢، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥/٥٥، والمصباح المنير للفيومي، ٢/٤٩٤.

[٢] – لسان العرب، لابن منظور، ١٤/٣٥.

[٣] – المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٧٦.

[٤] – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم–صلى الله عليه وسلم–، عدد من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة–جدة، ط٤، ١١/ ٥٣٠٠.

[٥] – مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. عبد الرحمن صالح عبدالله، وناصر أحمد خوالده، ومحمد عبدالله الصمادين، ص١٥٢.

[٦] – الاقتداء بالأنبياء بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، ص٩٠.

[٧] – التنشئة الاجتماعية، معن خليل العمر، ص ١٩٥.

[٨] – تفسير النابلسي، ٢٧٩/٧.

[٩] – تفسير النابلسي، ٣٢٩/١.

[١٠] – القدوة مباديء ونماذج، د. صالح بن عبدالله بن حميد، ص٦–٧.

[١١] – أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول –الله صلى الله عليه وسلم–، أكثر من الأهل والولد والوالد، برقم: ٧٧، والبخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول –الله صلى الله عليه وسلم–، من الإيمان، برقم: ١٥.

[١٢] – تفسير النابلسي، ٢٧٣/٧–٢٧٥.

[١٣] – تفسير النابلسي، ٢٨٨/٣–٢٨٩.

[١٤] – ينظر: تفسير القرطبي، ٣٠٠/١–٣٠١.

[١٥] – تفسير النابلسي، ٣٢٢/٦.

[١٦] – جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب: من لعنه النبي –صلى الله عليه وسلم–، أو سبه من المسلمين، برقم: ٦٧١٩.

[١٧] – تفسير النابلسي، ٢٢٨/٦–٢٢٩.

[١٨] – تفسير القرطبي، ٣٠٠/١–٣٠١.

[١٩] – تفسير النابلسي، ٤٤/٢.

[٢٠] – تفسير النابلسي، ٢٧٤/٧.

[٢١] – تفسير النابلسي، ٣٢٩/١.

[٢٢] – قول سائرٌ لم أجد من نسبه إلى قائل معين، معجم الاستشهادات، الدكتور: علي القاسمي، ص٣٧٧.

[٢٣] – مجمع الأمثال، للميداني ١٦٢/٢.

[٢٤] – أخرجه البخاري في عدة أماكن منها: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بأفعال النبي –صلى الله عليه وسلم–، برقم: ٧٢٩٨.

[٢٥] – فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٢٧٥.

[٢٦] – ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٥/ ٣٧٤.

[٢٧] – مسؤلية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن صالح باحارث، ص٦٦.

[٢٨] – مسؤلية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن صالح باحارث، ص٦٦.

[٢٩] – هو: عتبة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد الشمس، أخ معاوية بن أبي سفيان لأبويه، ولد في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–، كان أميراً مفوهاً، شهد مع عثمان بن عفان –رضي الله عنه– يوم الدار، وشهد مع عائشة –رضي الله عنها– يوم الجمل وفقئت عينه، وشهد صفين مع أخيه معاوية، وكذلك شهد أيضاً الحكمين، وحج بالناس سنة إحدى وأربعين وبعدها، ولاه أخوه معاوية بمصر الجند بعد عزل عبد الله بن عمرو بن عاص، مات بالأسكندرية مرابطاً سنة: ٤٤هـ، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير،٣ /٥٥٤، والأعلام، للزركلي، ٢٠٠/٤–٢٠١،

[٣٠] – البيان والتبيين، للجاحظ، ٤٨/٢.

[٣١] – مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي أحمد مدكور، ص٢٣٧.

[٣٢] – تفسير النابلسي، ٢٩١/٧–٢٩٢.

[٣٣] – تفسير النابلسي، ٢٧٩/٧.

[٣٤] – رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأمراء، باب ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم, برقم: ٣٠٦٤٣.

[٣٥] – تفسير النابلسي، ٢٧٩/٧-٢٨٠.

[٣٦] – التفسير الكبير، للفخر الرازي، ٢٠/ ٢٥٧.

[٣٧] – شرح السنة، للبغوي، ٢٣٢/١.

[٣٨] – هو: عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي كما ثبت في حديث آخر بإسمه أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قصة خزاعة برقم: ٣٥٢١، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم: ٢٨٥٦. الحديث: ((رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجرُّ قُصبه...)).

[٣٩] – القصب بالضم: المِعَى، وجمعه: أقصاب، وقيل: القصب: اسم للأمعاء كلها، وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ٦٧/٤.

[٤٠] – والسائبة: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر، أو بُرْءِ من مرض، أو غير ذلك قال ناقتي سائبة، فلا تُمنع من ماء ولا مرعى، ولا تُحلب، ولا تُركب...، وأصله من تسييب الدواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ٤٣١/٢.

[٤١] – أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: [ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة][المائدة: ١٠٣] برقم: ٤٦٢٤.

[٤٢] – هو: دحية بن فروة بن فضالة بن زيد بن امريء القيس الكلبي، الصحابي الجليل-رضي الله عنه-، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، ونزل جبريل -عليه السلام- على صورته، شهد غزوة الأحد والخندق واليرموك، أرسله الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى قيصر، وعاش إلى خلافة معاوية. ينظر: الإستيعاب لمعرفة الأصحاب، م٢، ص٤٦١-٤٦٢، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المتوفى: ٤٦٣هـ، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الجيل-بيروت، ط ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، والإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفى: ٨٢٥هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٣٢١/٢-٣٢٣.

[٤٣] – اختلفوا في معنى الأريسيّون على أقوال: المراد بهم الخدم، وقيل: الملوك، وقيل: الأكارون، وقيل الزارعون، ينظر: النهاية في غريب الحديث، ٣٨/١، ابن الأثير،٣٨/١، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٩/١٢.

[٤٤] – أخرجه لبخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، برقم: ٧، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، إلى هرقل، برقم: ١٧٧٣.

[٤٥] – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٩/١٢.

[٤٦]– أخرجه البخاري، في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، برقم: ٣٢٦٧، ومسلم، في كتاب: الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، برقم: ٢٩٨٩.

[٤٧] – رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس مرفوعاً، برقم: ١٦٣٧، وحسنه الألباني، في صحيح الجامع برقم: ١٢٨.

[٤٨] – أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: من سن في الإسلام سنة حسنة أو سيئة، برقم: ١٠١٧.

[٤٩] – الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ١٨٤/١-١٨٥،

[٥٠] – أورد الغزالي هذا القول ونسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في كتابه: ميزان العمل، ص٣٧٢.

[٥١] – صيد الخاطر، جمال الدين لابن الجوزي، ص١٥٨.

[٥٢] – التبصرة، لابن الجوزي ، ٢/ ٢٠٢.